بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٢٤ -

عَبْدُ اللهِ بن رَوَاحَة

رَضِيَ اللهُ عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

يَنْتَمِي عَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ إِلَى بَنِي الحَارِثِ أَحَدِ بُطُونِ الخَزْرَجِ المَعْرُوفِينَ، وَتُعَدُّ أُسْرَتُهُ مِنْ أَهْلِ الوَجَاهَةِ فِي يَثْرِبَ. وَأُمُّهُ خَزْرَجِيَّةٌ أَيْضاً، وَهِيَ كَبْشَةُ بِنْتُ وَاقِدٍ يَلْتَقِي نَسَبُهَا بِنَسَبِهِ فِي الجَدِّ الخَامِسِ.

نَشَأَ عَبْدُ اللَّهِ فِي بَيْتِ عِزٍّ فَتَعَلَّمَ الكِتَابَةَ، وَهِيَ قَلِيلَةٌ يَوْمَذَاكَ، وَنَظَمَ الشِّعْرَ وَوَصَلَ إِلَى مَرْتَبَةٍ فِيهِ حَتَّى غَدَا شَاعِرَ الخَزْرَجِ يُدَافِعُ عَنْهُمْ. وَكَانَتْ وَقَائِعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمُ الأَوْسِ الَّذِينَ يُمَثِّلُهُمْ فِي الشِّعْرِ قَيْسُ بنُ الخَطِيمِ، فَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا يُنَاقِضُ الآخَرَ فِي شِعْرِهِ وَيَرُدُّ بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَتَغَزَّلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِأُخْتِ الآخَرِ، فَعَبْدُ اللَّهِ يَتَغَزَّلُ بِـ (لَيْلَى) أُخْتِ قَيْسٍ، وَقَيْسُ يَتَغَزَّلُ بِـ (عَمْرَةَ) أُخْتِ عَبْدِاللَّهِ.

إسلامه:

وَانْتَشَرَ الإِسْلَامُ فِي المَدِينَةِ بَيْنَ أَوْسِهَا وَخَزْرَجِهَا بَعْدَ أَنِ

التَقى رَسُولُ اللّهِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِبَعْضِ أَفْرادٍ مِنَ الخَزْرَجِ فِي مَوْسِمِ السَّنَةِ الحادِيَةَ عَشْرَةَ لِلْبِعْثَةِ، وَلَمَّا عادَ هَؤُلاَءِ الأَفْرادُ إِلَى مَدِينَتِهِمْ بَدَؤُوا يَدْعُونَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَفِي مَوْسِمِ السَّنَةِ التالِيَةِ كَانَتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأولى بَيْنَ رَسُولِ اللّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالأَنْصارِ، وَعِنْدَما رَجَعُوا إِلَى المَدِينَةِ كَانَ مَعَهُمْ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ لِيُقْرِئَهُمُ القُرآنَ، وَيُعَلِّمُهُمُ الإِسْلاَمَ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَثُرَ عَدَدُ الَّذِينَ اعْتَنَقُوا الإِسْلاَمَ سَوَاءٌ أَكَانُوا مِنَ الأَوْسِ أَمْ مِنَ الخَزْرَجِ، وَانْتَهَتِ الوَقَائِعُ بَيْنَ الحَيَّيْنِ المُتَنافِسَيْنِ، وَأَصْبَحُوا إِخْوَةً فِي اللَّهِ، فَقَدْ أَسْلَمَتْ لَيْلَى بِنْتُ الخَطيمِ أُخْتُ قَيْسٍ، وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ بَايَعَها النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَها ابْنَتاها وَابْنَتانِ لابْنَتَيْهَا، وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا أَسْلَمَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَواحَةَ شَقِيقَةُ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَتْ قَدْ تَزَوَّجَتْ بَشِيرَ بنَ سَعْدٍ الَّذِي أَسْلَمَ، وَهِيَ أُمُّ النِّعْمانِ بنِ بَشِيرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَأَسْلَمَ عَبْدُاللَّهِ وَارْتَحَلَ إِلَى المَوْسِمِ لِيَلْتَقِي بِرَسُولِ اللّهِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ بَيْنَ رَسُولِ اللّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالأَنْصارِ، وَقَدْ طَلَبَ رَسُولُ اللّهِ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الأَنْصارِ أَنْ يَخْتارُوا مِنْ بَيْنِهِمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً، فَكَانَ أَن

اخْتَارُوا عَبْدَاللَّـهِ بنَ رَوَاحَـةَ بَيْنَ النُّقَبَـاءِ، وَكَانَ عَبْـدُ اللَّــهِ وَسَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ مِنْ بَنِي الحَارِثِ.

بَدَأَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَكَّةَ يُهَاجِرُونَ إِلَى المَدِينَةِ بِنَاءً عَلَى تَوْجِيهَاتِ رَسُولِهِـمُ الـكَرِيمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ والسَّلاَمِ، وَأَخِيراً هَاجَرَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآخَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ فَآخَى بَيْنَ عَبْدِاللَّـهِ بنِ رَوَاحَةَ وَالمِقْدَادِ بنِ عَمْرٍو، وَكِلاَهُمَا بَطَلٌ مَعْرُوفٌ، وَفَارِسٌ مَشْهُورٌ. فَكَان عَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ مِنَ المُقَرَّبِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ كَانَ مِنْ كَتَبَةِ الوَحْيِ، وَمِنْ شُعَرَاءِ الدَّعْوَةِ. وَعَاشَ عَبْدُاللَّهِ سَعِيداً لِقُرْبِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فِي بَدْرٍ:

وَخَرَجَ المُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ المَدِينَةِ يُرِيدُونَ عِيرَ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ فَقَدْ نَجَتِ العِيرُ، وَهَبَّ أَهْلُ مَكَّةَ يُرِيدُونَ إِنْقَاذَ قَافِلَتِهِمْ، والْتَقَى الجَمْعَانِ وَلاَ تَكَافُؤَ بَيْنَهُمَا فِي مِيزَانِ قُوَى الأَرْضِ، وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، يُنَاشِدُ رَبَّهُ فِي العَرِيشِ الَّذِي بُنِيَ لَهُ، وَيَقُولُ فِيمَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ اليومَ لاَ تُعْبَدْ، وَأَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: بَعْضَ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ. وَكَانَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ جَرِيئاً يَغْلِي إِيماناً وَثِقَةً بِاللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَتَمَالَكْ نَفْسَهُ أَن يَقُولَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُشِيرُ عَلَيْكَ إِنَّ اللَّهَ أَجلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُنْشَدَ وَعَدَهُ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا ابنَ رَوَاحَةَ، أَلاَ أَنْشُدُ اللَّهَ وَعْدَهُ؟ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ)[1].

وَبَدَأَ القِتَالُ بِالمُبَارَزَةِ، وَخَرَجَ مِنْ جِهَةِ المُشْرِكِينَ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ وَوَلَدِهِ الوَلِيدِ بن عُتْبَةَ، وَهَبَّ مِنْ جِهَةِ المُسْلِمِينَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، وَعَوْفُ وَمُعَوِّذُ ابْنَا الحَارِثِ وَأُمُّهُمَا عفْرَاءُ. فَقَالَ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ: مَنْ أَنْتُم؟ فَقَالُوا: رَهْطٌ مِنَ الأَنْصَارِ؛ قَالَ: مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ. ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِمْ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بنُ الحَارِثِ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عَلِيُّ، فَخَرَجَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعَرَّفُوا أَنْفُسَهُمْ، فَقَالَ عُتْبَةُ: نَعَمْ أَكْفَاءٌ كِرَامٌ. والتَحَمَ المُبَارِزُونَ،

---

(١) الإمتاع: ص ٨٤.

وَصُرِعُ المُشْرِكُونَ الثلاَثَةُ، وَتزَاحَفَ النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، ومَا هِيَ أَلاَّ سُوَيْعَاتٍ حَتَّى انْجلَتِ المَعْرَكَةُ وَخَلَّفَ المُشْرِكُونَ وَرَاءَهُمْ سَبْعِينَ مِنَ القَتْلَى، وَوَقَعَ مِثْلُهُمْ أَسْرَى بِيدِ المُسْلِمِينَ، وَهُزِمَ الجَمْعُ وَوَلُّوا الدُّبُرَ، وَنَصَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ. وَسَاقَ المُسْلِمُونَ الأسْرَى أَمَامَهُمْ مُوَثَّقِينَ. وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَاللَّهِ بنَ رَوَاحَةَ وَزَيْدَ بنَ حَارِثَةَ يُبَشِّرَانِ أَهْلَ المَدِينَةِ بِنَصْرِ المُؤْمِنينَ وَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَسَارَ عَبْدُاللَّهِ إِلَى أَهْلِ العَالِيَةِ فَنَادَى فِيهِمْ: يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، أَبْشِرُوا بِسَلاَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَتْلِ المُشْرِكِينَ وَأَسْرِهِمْ، ثُمَّ اتَّبَعَ دُورَ الأنْصَارِ فَبَشَّرَهُمْ وَهُمْ: بَنُو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وَخَطْمَةَ، وَوائِلُ. وَقَدِمَ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ عَلَى نَاقَةِ الرَّسُولِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، القَصْوَاءِ يُبَشِّرُ أَهْلَ السَّافِلَةِ.

وَلَمَّا جِيءَ بالأسْرَى المُشْرِكِينَ، سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْضَ الصَّحَابَةِ، وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعَلِيَّ، وَعَبْدِاللَّهِ بنَ رَوَاحَةَ، وَعَبْدَاللَّهِ بنَ جَحْشٍ، فَقَالَ: (مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلاَءِ الأسَارَى؟). فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ، اسْتَبْقِهِمْ واسْتَتِبْهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ،

فَقَدِّمْهُمْ وَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ. وَكَانَ جَوَابُ عَلِيٍّ وَعَبْدِاللَّهِ بنِ جَحْشٍ قَرِيباً مِنْ إِجَابَةِ عُمَرَ. أَمَّا عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ فَقَدْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الحَطَبِ فَأَضْرِمِ الوَادِي عَلَيْهِمْ نَاراً ثُمَّ أَلْقِهِمْ فِيهِ. وَقَدْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِجَوَابِ أَبِي بَكْرٍ إِذْ قَبِلَ الفِدَاءَ مِنَ الأَسْرَى.

فِي أُحُدٍ:

واسْتَدَارَ العَامُ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ، وَقَاتَلَ فِيهَا عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ قِتَالاً عَظِيماً، وَكَانَتْ ابتِلاءً لِلْمُسْلِمِينَ إِذْ فَقَدُوا فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ شُهَدَاءَ كِرَاماً كَانَ مِنْهُمْ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الحَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَشُجَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُلِمَتْ شَفَتُهُ، وَأُصِيبَتْ رُبَاعِيَّتُهُ إِذْ وَقَعَ لِشِقِّهِ، وَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حَلَقِ المِغْفَرِ فَجَعَلَ الدَمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الحُفَرِ الَّتِي عَمِلَ أَبُو عَامِرٍ لِيَقَعَ فِيهَا المُسْلِمُونَ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَلْتَمِسُ حَمْزَةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَوَجَدَهُ بِبَطْنِ الوَادِي قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ، وَمُثِّلَ بِهِ، فَجُدِعَ أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ: (لَنْ

أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَداً! مَا وَقَفْتُ مَوْقِفاً قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هَذَا!) ثُمَّ قَالَ: (جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي إِنَّ حَمْزَةَ بنَ عَبْدِالمُطَّلِبِ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ: حَمْزَةُ بنُ عَبْدُ المُطَّلِبِ أَسَدُاللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ).

وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى المَدِينَةِ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ وظَفَرِ، فَسَمِعَ البُكَاءَ وَالنَّوَائِحَ عَلَى قَتْلاَهُمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: لَكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ أَمَرَا نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّمْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ عَلَى عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بُكَاءَهُنَّ عَلَى حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْنَ يَرْحَمْكُنَّ اللَّهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُنَّ. رَحِمَ اللَّهُ الأَنْصَارَ فَإِنَّ المُوَاسَاةَ مِنْهُمْ مَا عَتِمَتْ لَقَدِيمَةٌ، مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصَرِفْنَ. ثُمَّ نَهَى عَنِ النَّوْحِ، وَكَانَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ قَدْ جَاءَ بِنِسَاءِ بَنِي الحَارِثِ، وَلَكِنَّ النَّهْيَ كَانَ قَدْ وَقَعَ فَلَمْ يَشْتَرِكْنَ فِيهِ. وَرَثَى عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ الحَمْزَةَ بِقَصِيدَةٍ رَائِعَةٍ فَقَالَ:

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاهَا
وَمَا يُغْنِي البُكَاءُ أَوِ العَوِيلُ
عَلَى أَسَدِ الإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا
أَحَمْزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ القَتِيلُ
أُصِيبَ المُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعاً
هُنَاكَ، وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
أَبَا يَعْلَى لَكَ الأَرْكَانُ هُدَّتْ
وَأَنْتَ المَاجِدُ البَرُّ الوَصُولُ
عَلَيْكَ سَلاَمُ رَبِّكَ فِي جِنَانٍ
مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لاَ يَزُولُ
أَلاَ يَا هَاشِمَ الأَخْيَارِ صَبْرَاً
فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
رَسُولُ اللَّهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ
بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ
أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي لُؤَيَّاً
فَبَعْدَ اليَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ
وَقَبْلَ اليَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا
وَقَائِعَنَا بِهَا يُشْفَى الغَلِيلُ

نَسِيتُــمْ ضَرْبَنَــا بَقَلِيْبِ بَدْرٍ
غَــدَاةَ أَتَــاكُمُ المَــوْتُ العَجِيلُ

غَــدَاةَ ثَوَى أَبُــو جَهْــلٍ صَرِيعَاً
عَلَيْهِ الــطَّيْرُ حَائِمَــةً تَجُولُ

وَعُتْبَــةُ وَابْنُــهُ خَرَّا جَمِيعَاً
وَشَيْبَــةُ عَضَّــهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ

وَمَتْرِكُنَــا أُمَيَّةَ مُجْلَعِبَاً[1]
وَفِــي حَيْزُومِــهِ[2] لَدْنٌ[3] نَبِيلُ

وَهَــامَ بَنُــو رَبِيعَــةَ سَائِلُوهَا
فَفِــي أَسْيَافِنَــا مِنْهَــا فُلُولُ

أَلاَ يَا هِنْــدُ لاَ تُبْــدِي شَمَاتَاً
بِحَمْــزَةَ إِنَّ عِزَّكُمْ ذَلِيلُ

أَلاَ يَا هِنْــدُ فَابْــكِي لاَ تَمَلِّي
فَأَنْــتِ الوَالِــهُ[4] العَبْــرَى[5] الهَبُولُ[6]

---

(١) مجلعباً : ممتداً على الأرض .
(٢) حيزومه : أسفل صدره .
(٣) لدن : الرمح اللين .
(٤) الواله : الفاقد .
(٥) العبرى : الكثيرة الدمع .
(٦) الهبول : المرأة الثاكل .

بَعْدَ أُحُدٍ:

كَثُرَ الطَّمَعُ بِالمَدِينَةِ مِنَ الأعْرَابِ بَعْدَ أُحُدٍ، وَكَثُرَ الغَادِرُونَ بِالمُسْلِمِينَ إِثْرَ تِلْكَ المَوْقِعَةِ، وَكَثُرَ الطَامِعُونَ فِي أَمْوَالِ المُؤْمِنِينَ، فَقَدْ غَدَرَتْ قَبِيلَتَا عَضَلٍ والقَارَةِ بِسِتَّةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ عِنْدَ مَاءِ الرَّجِيعِ لِهُذَيلٍ، وَغَدَرَتْ بَنُو سُلَيْمٍ وَقَبَائِلُ نَجْدٍ بِأَرْبَعِينَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ بِئْرِ مَعُونَةَ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ نَافِعُ بنُ بُدَيلِ بنِ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيِّ صديقِ عَبْدِاللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ فَرَثَاهُ فِي شِعْرٍ مِنْهُ:

رَحِمَ اللَّهُ نَافِعَ بنَ بُدَيْلٍ
رَحْمَةَ المُبْتَغِي ثَوَابَ الجِهَادِ
صَابِرٌ، صَادِقٌ، وَفِيٌّ إِذَا مَا
أَكْثَرَ القَوْمُ قَالَ قَوْلَ السَّدَادِ

فِي إِمْرَةِ المَدِينَةِ:

لَمَّا انْسَحَبَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أُحُدٍ نَادَى: إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ لِلْعَامِ القَابِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: قُلْ: نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ فَلَمَّا جَاءَ المَوْعِدُ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ،

صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ، فِي شَعْبَـانَ، وَولـى عَلَـى المَدِينَـةِ عَبْدَاللَّهِ بنَ رَوَاحَةَ. فَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّـلاَمُ ثَمانِـيَ لَيَالٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ، وَخرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي أَهْـلِ مَكَّةَ حَتَّـى نَزَل مَجَنَّةَ، مِنْ نَاحِيَةِ الظَّهْرَانِ، وَيقُولُ بَعْضُهُمْ: قَدْ بَلَغَ عُسْفَانَ، ثُمَّ بَدَا لَهُ فِي الرُّجُـوعِ، فَقَـالَ: يَا مَعْشَـرَ قُرَيْشٍ، إِنَّـهُ لاَ يَصْلُحُكُمْ إِلاَّ عَامٌ خَصِيبٌ تَرْعَوْنَ فِيْهِ الشَّجَـرَ، وَتَشْرَبُـونَ فِيْهِ اللَّبَنَ، وَإِنَّ عَامَكُمْ هَذَا عَامُ جَدْبٍ، وَإِنِّي رَاجِعٌ فَارْجِعُـوا، فَرَجَعَ النَّاسُ.

فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ:

وَحَزَّبَ اليَهُودُ الأَحْزَابَ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ ذَهَبُوا إِلَـى مَكَّةَ وَحَرَّضُـوا أَهْلَهَـا عَلَـى قِتَـالِ المُسْلِمِينَ، واتَّفَقُوا مَعَهُمْ، وَتَوَاعَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجُـوا إِلَى قَبَائِلِ غَطَفَانَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى ذَلِكَ أَيْضاً، وَأَعْلَمُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُـمْ وَكَذَلِكَ قُرَيْشٌ، وَأَعْطَوْهُـمْ المَوْعِـدَ الَّـذِي اتَّفَقُـوا عَلَيْهِ مَعَ قُرَيْشٍ. وَجَـاءَ وَقْـتُ المَوْعِـدِ المَعْلُـومِ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِقِيَادَةِ أَبِـي سُفْيَانَ، وَسَـارَتْ غَطَفَـانُ بِإِمْـرَةِ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ الفَزَارِيِّ. فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِنَ الأَمْرِ، ضَرَبَ الخَنْـدَقَ عَلَـى

المَدِينَةِ، بِرَأْيِ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، وَعَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ تَرْغِيباً لِلْمُسْلِمِينَ فِي الأَجْرِ، وَعَمِلَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ فِيه، فَدَأَبَ فِيْهِ وَدَأَبُوا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَئِذٍ مَعَ القَوْمِ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، وَيَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِاللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ:

وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا
وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا
إِنَّ الَّذِينَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا
إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَكَانَ المُسْلِمُونَ يَأْكُلُونَ مِمَّا يُرْسِلُهُ أَهْلُوهُمْ إِلَيْهِمْ، وَحَدَّثَتْ ابْنَةٌ لِبَشِيرِ بنِ سَعْدٍ فَقَالَتْ: دَعَتْنِي أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ، فَأَعْطَتْنِي حَفْنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ثُمَّ قَالَتْ: أَيْ بُنَيَّةُ، اذْهَبِي إِلَى أَبِيكِ وَخَالِكِ عَبْدِاللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ بِغِدَائِهِمَا، قَالَتْ: فَأَخَذْتُهَا فَانْطَلَقْتُ بِهَا، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا أَلْتَمِسُ أَبِي وَخَالِي؛ فَقَالَ: تَعَالِي يَا

بُنَيَّةُ، مَا هذَا مَعَكِ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا تَمرٌ بَعَثَتْنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بنِ سَعْدٍ وَخَالِي عَبْدِاللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ يَتَغَذَّيَانِهِ؛ قَالَ: هَاتِيهِ؛ قَالَتْ: فَصببْتُهُ فِي كَفَّيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا مَلأَتْهُمَا، ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ لَهُ، ثُمَّ دَحَا بِالتَّمْرِ عَلَيْهِ، فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ، ثُمَّ قَالَ لانْسَانٍ عِنْدَهُ: اصْرَخْ فِي أَهْلِ الخَنْدَقِ: أَنْ هَلُمَّ إِلَى الغَدَاءِ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الخَنْدَقِ عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَجَعَلَ يَزِيدُ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الخَنْدَقِ عَنْهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ.

إِمْرَةُ ابنِ رَوَاحَةَ:

بَعْدَ أَنْ قُتِلَ أَبُو رَافِعٍ سَلاَّمُ بنُ أَبِي الحُقَيْقِ أَمِيرُ اليَهُودِ عَلَى خَيْبَرَ أَمَّرَتِ اليَهُودُ مَكَانَهُ أُسَيْرَ بنَ رِزَامٍ إِذْ كَانَ رَجُلاً شُجَاعاً، فَقَامَ فِي اليَهُودِ فَقَالَ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا سَارَ مُحَمَّدٌ إِلَى أَحَدٍ مِنَ اليَهُودِ إِلاَ بَعَثَ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَصَابَ مِنْهُمْ مَا أَرَادَ، وَلَكِنِّي أَصْنَعُ مَا لاَ يَصْنَعُ أَصْحَابِي. فَقَالُوا: وَمَا عَسَيْتَ أَنْ تَصْنَعَ مَا لَمْ يَصْنَعْ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: أَسِيرُ فِي غَطَفَانَ فَأَجْمَعُهُمْ. فَسَارَ فِي غَطَفَان فَجَمَعَهَا. ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ اليَهُودِ، نَسِيرُ إِلَى مُحَمَّدٍ فِي عُقْرِ دَارِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُغْزَ أَحَدٌ فِي

دَارِهِ إلاَّ أَدْرَكَ مِنْهُ عَدُوُّهُ بَعْضَ مَا يُرِيدُ. قَالُوا: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَارِجَةُ بِنُ حُسَيْلِ الأَشْجَعِيُّ، فَاسْتَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا وَرَاءَهُ فَقَالَ: تَرَكْتُ أُسَيْرَ بنَ رِزَامٍ يَسِيرُ إِلَيْكَ فِي كَتَائِبِ اليَهُودِ، فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاسَ، فَانْتُدِبَ لَهُ ثَلاثُونَ رَجُلاً، فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَاللَّهِ بنَ رَوَاحَةَ، فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا خَيْبَرَ فَأَرْسَلُوا إِلَى أُسَيرَ: إِنَّا آمِنُونَ حَتَّى نَأْتِيكَ فَنُعْرِضَ عَلَيْكَ مَا جِئْنَا لَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَلِي مِثْلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَنَا إِلَيْكَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ فَيَسْتَعْمِلُكَ عَلَى خَيْبَرَ وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ فَطَمِعَ فِي ذَلِكَ، وَشَاوَرَ اليَهُودَ فَخَالَفُوهُ فِي الخُرُوجِ وَقَالُوا: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ يَسْتَعْمِلُ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ: بَلَى: قَدْ مَلَلْنَا الحَرْبَ. فَخَرَجَ مَعَهُ ثَلاثُونَ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ رَدِيفٌ مِنَ المُسْلِمِينَ. فَسَارُوا حَتَّى كَانُوا بِقَرْقَرَةِ ثِبَارٍ (عَلَى بُعْدِ سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ خَيْبَرَ) نَدِمَ أُسَيْرٌ حَتَّى عَرَفُوا النَّدَامَةَ فِيهِ. قَالَ عَبْدُاللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ أَحَدُ رِجَالِ المُسْلِمِينَ: وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى سَيْفِي فَفَطِنْتُ لَهُ فَدَفَعْتُ بَعِيرِي فَقُلْتُ: غَدَرَاً أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ! ثُمَّ

تَنَاوَمْتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ لأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَتَنَاوَلَ سَيْفِي، فَغَمَزْتُ بَعِيرِي وَقُلْتُ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَنْزِلُ فَيَسُوقُ بِنَا؟ فَلَمْ يَنْزِلْ أَحَدٌ، فَنَزَلْتُ عَنْ بَعِيرِي فَسُقْتُ بِالقَوْمِ حَتَّى انْفَرَدَ أُسَيْرٌ، فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَقَطَعْتُ مُؤَخِّرَةَ الرِّجْلِ وَأَنْدَرْتُ (أَسْقَطْتُ) عَامَّةَ فَخِذِهِ وَسَاقِهِ، وَسَقَطَ عَنْ بَعِيرِهِ، وَفِي يَدِهِ مِخْرَشٌ (عَصَا مَعْقُوفَةٌ) مِنْ شَوْحَطٍ (نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ الجِبَالِ) فَضَرَبَنِي فَشَجَّنِي مَأْمُومَةً[1]، وَمِلْنَا عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَتَلْنَاهُمْ كُلَّهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَعْجَزَنَا شَدّاً، وَلَمْ يُصَبْ مِنَ المُسْلِمِينَ أَحَدٌ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ إِذْ قَالَ لَهُمْ: تَمَشَّوْا بِنَا إِلَى الثَّنِيَّةِ نَتَحَسَّبْ مِنْ أَصْحَابِنَا خَبَراً. فَخَرَجُوا مَعَهُ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الثَّنِيَّةِ فَإِذَا هُمْ بِسَرَعَانِ أَصْحَابِنَا. قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ. قَالَ: وَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ فَحَدَّثْنَاهُ الحَدِيثَ، فَقَالَ: نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ.

قَالَ عَبْدُاللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ: فَدَنَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَفَثَ فِي شَجَّتِي فَلَمْ تَقِحْ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ وَلَمْ تُؤْذِنِي،

---

(١) شجة مأمومة: وصلت إلى أم الرأس.

وَقَدْ كَانَ العَظْمُ فُلَّ؛ وَمَسَحَ عَلَى وَجْهِي وَدَعَا لِي، وَقَطَعَ قِطْعَةً مِنْ عَصَاهُ فَقَالَ: أَمْسِكْ هَذَا مَعَكَ عَلاَمَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْرِفُكَ بِها، فَإِنَّكَ تَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةَ مُحْتَضِراً.

وَقَدْ اخْتِيرَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ لِهَذِهِ المُهِمَّةِ لِشَجَاعَتِهِ وَدِقَّتِهِ وَخِفَّتِهِ وَلِمَعْرِفَتِهِ السَّابِقَةِ بِخَيْبَرَ، إِذْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ بَعَثَهُ فِي مُهِمَّةٍ اسْتِطْلاَعِيَّةٍ فِي رَمَضَانَ تَهْيِئَةً بِهَذِهِ المُهِمَّةِ وَكَانَ مَعَهُ ثَلاَثَةُ رِجَالٍ يَنْظُرُونَ إِلَى خَيْبَرَ، وَحَالِ أَهْلِهَا وَمَا يُرِيدُونَ وَمَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ، فَأَقْبَلَ عَبْدُاللَّهِ حَتَّى أَتَى نَاحِيَةَ خَيْبَرَ فَجَعَلَ يَدْخُلُ الحَوَائِطَ، وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ فِي النَّطَاةِ وَالشَّقِّ وَالكَتِيبَةِ (آطام خيبر)، وَوَعَوْا مَا سَمِعُوا مِنْ أُسَيْرٍ وَغَيْرِهِ، ثُمَّ خَرَجُوا بَعْدَ إِقَامَةِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلَيَالٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَخَبَّرَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِكُلِّ مَا رَأَى وَسَمِعَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أُسَيْرٍ فِي شَوَّالَ مِنَ السَّنَةِ نَفْسِهَا وَهِيَ السَّادِسَةُ لِلْهِجْرَةِ[1].

فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُرِيدُ تَأْدِيَةَ

---

(١) أنظر مغازي الواقدي ٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٨.

العُمْرَةِ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمَائَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ فِيمَنْ خَرَجَ، إِلاَّ أَنَّ قُرَيْشاً قَدْ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَيْتِ، وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ، إِلَى قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِقَصْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي العُمْرَةِ، وَأَنَّهُ لاَ يُرِيدُ حَرْباً، وَلَكِنَّ قُرَيْشاً تَعَنَّتَتْ فِي مَوْقِفِهَا وَأَصَرَّتْ عَلَى رَأْيِهَا، وَتَأَخَّرَ عُثْمَانُ، وَأُشِيعَ أَنَّهُ قُتِلَ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ وَشَهِدَهَا ابنُ رَوَاحَةَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ، وَتَمَّ صُلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ وَرَجَعَ المُسْلِمُونَ نَتِيجَتَهُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا فِي العَامِ المُقْبِلِ.

وَاسْتَدَارَ العَامُ، وَدَخَلَ شَهْرُ ذِي القِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا ـ قَضَاءَ عُمْرَتِهِمْ ـ وَأَلاَّ يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الحُدَيْبِيَّةِ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ شَهِدَهَا إِلاَّ رِجَالاً اسْتُشْهِدُوا بِخَيْبَرَ وَرِجَالٌ مَاتُوا، وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَوْمٌ مِنَ المُسْلِمِينَ سِوَى أَهْلِ الحُدَيْبِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ صُلْحَ الحُدَيْبِيَّةِ، فَكَانَ المُسْلِمُونَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ أَلْفَيْنِ. وَتَتَقَدَّمُهُمُ الخَيْلُ بِإِمْرَةِ مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمَةَ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ مَائَةَ فَارِسٍ. وَكَانَ بَشِيرُ بنُ سَعْدٍ عَلَى السِّلاَحِ.

وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ، وَأَصْحَابُهُ حَوْلَهُ مُتَوَشِحُو السُّيُوفِ فِي القُربِ، وَهُمْ يُلَبُّونَ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ آخِذٌ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ القَصْوَاءِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ:

خلُّوا بَنِي الكُفَّار عَنْ سَبِيلِهْ
قَدْ نَزَّلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهْ
بِأَنَّ خَيْرَ القَتْلِ فِي سَبِيلِهْ
خَلُّوا فَكُلُّ الخَيْرِ فِي رَسُولِهْ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهْ
أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قُبُولِهْ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهْ
كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهْ
ضَرْبَاً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِه
وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهْ

فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ: يَا ابنَ رَوَاحَةَ، أَفِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ؟، فَقَالَ الرَّسُولُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَلاَمُهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ).

وَلَمْ يَزَلِ الرَّسُولُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُلَبِّي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ.

فِي خَيْبَرَ:

رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الحُدَيْبِيَّةِ فِي شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ مِنْ أَوَاخِرِ العَامِ السَّادِسِ لِلْهِجْرَةِ، فَأَقَامَ فِي المَدِينَةِ بَقِيَّةَ شَهْرِذِي الحِجَّةِ وَالمُحرَّمِ وَخَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ فِي شَهْرِصَفَرَ مِنَ العَامِ السَّابعِ لِلْهِجْرَةِ، فَفَتَحَ اللَّهُ خَيْبَرَ لَهُ. وَشَهِدَ ابنُ رَاوحَةَ فَتْحَ خَيْبَرَ.

وَسَاقَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اليَهُودَ فِي خَيْبَرَ عَلَى الشَّطْرِ مِنَ الثَّمَرِ وَالزَّرْعِ، وَكَانَ يُزْرَعُ تَحْتَ النَّخْلِ، وَقَدْ بَعَثَ عَبْدَاللَّهِ بن رَواحَةَ يُقَدِّرُ الزَّرْعَ وَيَخْرُصُ عَلَيْهِمْ، فَأَرَادُوا أَنْ يَرْشُوهُ لِيَرْفِقَ بِهِمْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ الخَلْقِ عَلَيَّ، وَلأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِليَّ مِنْ أَعْدَادِكُمْ مِنَ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيرِ، وَمَا يَحْمِلُنِي حُبِّي إِيَّاهُ، وَبُغْضِي لَكُمْ عَلَى أَلاَّ أَعْدِلُ فِيكُمْ، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ!! وَقَالَ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ خَرَصَ «إِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ وَتَضْمَنُونَ نِصفَ مَا خَرَصْتُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَلَنَا وَنَضْمَنُ لَكُمْ مَا خَرَصْتُ». وَخَرَصَ

عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ وَسَقٍ . وَقَدْ أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعِلْمِهِ بِأَرْضِهِمْ، وَقَدْ ثَبتَ أَنَّهُ عَلى عِلْمٍ تَامٍّ بِالتَّمْرِ وَالزَّرْعِ، وَأَنَّهُ عَلَى غَايَةِ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ، وَقَامَ بِهَذِهِ العَمَلِيَّةِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ حَصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ.

الفَوْزُ بِالشَّهَادَةِ:

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الكُتُبَ إِلَى المُلُوكِ وَالأَمَرَاءِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَكَانَ مِمَّنْ بَعَثَ الحَارِثَ بنَ عُمَيْرٍ الأَزْدِيَّ إِلَى مَلِكِ بُصْرَى، فَلَمَّا نَزَل الحَارِثُ بَلْدَةَ مُؤْتَةَ عَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بنُ عَمْرٍو الغَسَّانِيُّ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الشَّامَ. قَالَ: لَعَلَّكَ مِنْ رُسُلِ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ. فَأَمَرَ بِهِ فَأُوثِقَ رِبَاطاً، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ صَبْراً، وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَسُولٌ غَيْرُهُ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ رَجَعَ مِنْ عُمْرَةِ القَضَاءِ فِي شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ مِنَ العَامِ السَّابِعِ، فَأَقَامَ فِي المَدِينَةِ بَقِيَّةَ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ مِنَ العَامِ السَّابِعِ وَالمُحَرَّمِ وَصَفَر وَرَبِيعَ الأَوَّلِ وَرَبِيعَ الثَّانِي، فَبَلَغَهُ خَبَرُ مَقْتَلِ رَسُولِهِ الحَارِثِ بنِ عُمَيْرٍ الأَزْدِيِّ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، فَنَدَبَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمُ الخَبَرَ،

فَأَسْرَعُوا وَتَجمَّعُوا بِالجُرْفِ، وَوَصَلَ عَدَدُهُمْ إِلَى ثَلاثَةِ آلافٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ أَمِيرُ النَّاسِ، فَإِنْ قُتِلَ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ فَجَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ فَعَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ فَلْيَرْتَضِ المُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ رَجُلاً فَلْيَجْعَلُوهُ عَلَيْهِمْ.

فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجُهُمْ وَدَّعَ النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا وُدِّعَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ بَكَى؛ فَقَالُوا مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ؟ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا وَلاَ صَبَابَةٌ بِكُمْ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمَاً مقضيّاً﴾ فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بَعْدَ الوُرُودِ؛ فَقَالَ المُسْلِمُونَ: صَحِبَكُمُ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ، فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً
وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً
بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَاءَ وَالكَبِدَا

حَتَّـى يُقَـالَ إِذَا مَرُّوا عَلَـى جَدَثِي
أَرْشَـدَهُ اللَّـهُ مِنْ غَازٍ وَقَـدْ رَشَدَا

وَأَتى عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَـةَ رَسُولَ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَدَّعَهُ وَقَالَ:

فَثَبَّـتَ اللَّـهُ مَا آتَـاكَ مِنْ حَسَنٍ
تَثْبِيتَ مُوسَـى وَنَصْـرَاً كَالَّـذِيْ نُصِرُوا
إِنِّـي تَفَرَّسْـتُ فِيكَ الخَيْرَ نَافِلَةً
فِرَاسَـةً خَالَفَـتْ فِيكَ الَّـذِيْ نَظَرُوا
أَنْـتَ الرَّسُـولُ فَمَـنْ يُحْـرَمْ نَوَافِلَهُ
وَالوَجْـهُ مِنْـهُ قَدْ أَزْرَى بِهِ القَدَرُ

ثُمَّ خَرَجَ الجَيْشُ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا وَدَّعَهُمْ وَانْصَـرَفَ عَنْهُـمْ، قَالَ عَبْدُاللَّهِ بـنُ رَوَاحَةَ:

خَلَفَ السَّـلَامُ عَلَـى امْـرِىءٍ وَدَّعْتُهُ
فِـي النَّخْـلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وَخَلِيلِ

وَسَارَ الجَيْشُ حَتَّى نَزَلَ مَعَانَ، مِنْ أَرْضِ الشَّـامِ، فَبَلَـغَ النَّاسَ أَنَّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ مُؤَابَ مِنْ أَرْضِ البَلْقَاءِ (مَنْطِقَةِ عَمَّانَ فِي الأَرْدُنِ) فِي مائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنْ قَبَائِلِ

العَرَبِ المُتَنَصِّرَةِ مِنْ لَخْمٍ ، وَجُذَامٍ ، والقَيْنِ ، وَبَهْرَاءَ ، وَبِلِيٍّ مَائَةَ أَلْفٍ أَيْضاً. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ المُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مَعَانٍ لَيْلَتَيْنِ يُفَكِّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقَالُوا : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا ، فَإِمَّا أَنْ يُمِدَّنَا بِالرِّجَالِ ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ ، فَنَمْضِي لَهُ. فَشَجَّعَ النَّاسَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ ، وَقَالَ : يَا قَوْمُ ، وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلاَ قُوَّةٍ وَلاَ كَثْرَةٍ ، مَا نُقَابِلُهُمْ إِلاَّ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِيْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّما هِيَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ : إِمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ. فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابنُ رَوَاحَةَ فَمَضَى النَّاسُ ؛ وَقَالَ عَبْدُاللَّهِ يَوْمَذَاكَ :

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ أَجَأٍ وَفَرْعٍ
تُغَرُّ[1] مِنَ الحَشِيشِ لَهَا العُكُومُ[2]
حَذَوْنَاهَا[3] مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتاً[4]
أَزَلَّ[5] كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ[6]

(١) تغر: تطعم.
(٢) العُكوم: الجنب.
(٣) حذوناها: جعلنا لها حذاء.
(٤) سبتاً: النعال.
(٥) أزل: أملس.
(٦) الأديم: الجلد.

أَقَامَـتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَـى مَعَانٍ
فَأَعْقِـبَ بَعْـدَ فَتْرَتِهَـا[1] جُمُومُ[2]
فَرُحْنَـا وَالجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ
تَنَفَّسَ فِي مَنَاخِرِهَـا السَّمُومُ
فَـلاَ وَأَبِـي مُؤَابٌ لَنَأْتِيَنَّهَا
وَإِنْ كَانَـتْ بِهَـا عَرَبٌ وَرُومُ
فَعَبَّأْنَـا أَعِنَّتَهَـا فَجَاءَتْ
عَـوَابِسَ وَالغُبَـارُ لَهَـا بَرِيمُ[3]
بِـذِي لَجَبٍ[4] كَأَنَّ البَيْضَ[5] فِيهِ
إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَـا[6] النُّجُومُ
فَـرَاضِيَةُ المَعِيشَـةِ طَلَّقَتْهَا
أَسِنَّتُهَـا فَتَنْـكِحُ أَوْ تَئِيمُ

كَانَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ قَدْ رَبَّى زَيْدَ بنَ أَرْقَمٍ ، فَخَرَجَ بِهِ

---

(١) فترتها : ضعفها .
(٢) جموم : اجتماع .
(٣) بريم : لونان مختلطان . ويقصد اختلاط دموع الخيل بالغبار .
(٤) ذي لجب : الجيش .
(٥) البيض : ما يوضع على الرأس من حديد .
(٦) القوانس : أعلى البيض .

فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ، فَقَالَ زَيْدُ سَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ بنَ رَوَاحَةَ يُنْشِدُ فِي لَيْلَةٍ.

إِذَا أَدَّيْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي
مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحِساءِ
فَشَأْنُكِ أَنْعُمُ وَخَلَاكِ ذَمٌّ
وَلاَ أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وَجَاءَ المُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي
بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهى الثَّوَاءِ
هُنَالِكَ لاَ أُبَالِي طَلْعَ بَعْلٍ
وَلاَ نَخْلٍ أَسَافِلُهَا رَوَاءِ

فَلَمَّا سَمِعْتُهُنَّ بَكِيتُ، قَالَ: فَخَفَقَنِي بِالدِّرَّةِ، وَقَالَ: مَا عَلَيْكَ يَالُكَعُ أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ شَهَادَةً وَتَرْجِعُ بَيْنَ شُعْبَتي الرَّحْلِ.

وَالْتَقَى الجَمْعَانِ وَاقْتَتَلُوا، وَقَاتَلَ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى شَاطَ فِي رِمَاحِ القَوْمِ.

فَأَخَذَ الرَّايَة جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَاتَلَ حَتَّى نَالَ الشَّهَادَةَ. فلما صُرِعَ تسَلَّمَ الرَّايَةَ عَبْدَاللَّهِ بنَ رَوَاحَةَ، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ

فَجَعَلَ يستَنْزِلُ نَفْسَه وَيَبْدُو أَنَّ بَعْضَ التَّرَدُّدِ قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ فقَالَ:

أَقْسَمْــتُ يَا نَفْسُ لَتنْزِلِنَّهْ
لَتَنْــزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إِنْ أَجْلَــبَ النَّــاسُ وَشَــدُّوا الرَّنَّهْ
مَالِــي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّهْ
قَــدْ طَالَ مَا كُنْــتِ مُطْمَئِنَّهْ
هَــلْ أَنْــتِ إلاَّ نُطْفَــةٌ فِي شَنَّهْ

وَقَالَ أَيْضاً:

يَا نَفْسُ إلاَّ تُقْتَلِــي تَمُوتِي
هَــذَا حِمَــامُ المَــوْتِ قَدْ صُلِيتِ
وَمَــا تَمَنَّيْتِ فَقَــدْ أُعْطِيتِ
إِنْ تَفْعَلِــي فِعْلَهُمَــا هُدِيتِ

ثُمَّ نَزَلَ. فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ ابنُ عَمٍّ لَهُ بِعَرْقٍ مِنْ لَحْمٍ فَقَالَ: شُدَّ بِهذَا صُلْبَكَ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتَ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ انْتَهَسَ مِنْهُ نَهْسَةً ثُمَّ سَمِعَ الحَطْمَةَ فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ، فَقَالَ: وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ بنُ الأَقْرَمِ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، قَالُوا : أَنْتَ. قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ وَدَافَعَ القَوْمَ، ثُمَّ تَمكَّنَ مِنَ الانْسِحَابِ بِالنَّاسِ بَعْدَ أَنْ أَوْهَمَ الرُّومَ بِمَجِيءِ المَدَدِ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَقَدْ أَثْنَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الأُمَرَاءِ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا، وَعَلَى بَقِيَّةِ الشُّهَدَاءِ، وَعُمُومِ الجَيْشِ . وَرَثَاهُمُ الشُّعَرَاءُ.

كَانَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شُجَاعاً، يَطْلُبُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَكَانَ أَوَّلَ خَارِجٍ إِلَى القِتَالِ وَآخِرَ قَافِلٍ مِنْهُ.

وَكَانَ عَبْدُاللَّهِ عَابِدَاً، ذَكَرَتْ زَوْجُهُ لَمَّا تَزَوَّجَهَا مَنْ بَعْدَهُ حِينَ سَأَلَهَا عَنْ صَنِيعِهِ أَنَّهُ : «كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ صَلَّى رِكْعَتَيْنِ ، وَإِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ صَلَّى رِكْعَتَيْنِ ، لاَ يَدَعُ ذَلِكَ» . وَفِي حَدِيثِ أَبِي الدَرْدَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : «لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي اليَوْمِ الحَارِ الشَّدِيدِ الحَرِّ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ

مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَمَا فِي القَوْمِ صَائِمٌ إلاَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ»[١].

وَكَانَ يُحِبُّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَكُلَّمَا الْتَقَى بِأَحَدِ إخْوَانِهِ قَالَ لَهُ «إجْلِسْ نُؤْمِنُ سَاعَةً». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ ابنَ رَوَاحَةَ إنَّهُ يُحِبُّ المَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا المَلاَئِكَةُ»[٢]. وَقَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي عَبْدَاللَّهِ بنَ رَوَاحَةَ كَانَ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ أَنَاخَ»[٣].

وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ طَوَاعِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَخْطُبُ، فَدَخَلَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ: «إجْلِسُوا» فَجَلَسَ عَبْدُاللَّهِ مَكَانَهُ خَارِجاً مِنَ المَسْجِدِ دُونَ تَأَخُّرٍ، فَلَمَّا فَرَغَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: «زَادَكَ اللَّهُ حِرْصاً عَلَى طَوَاعِيَّةِ اللَّهِ وَطَوَاعِيَّةِ رَسُولِهِ»[٤].

وَكَانَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شَدِيداً عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الصوم.
(٢) أخرجه أحمد.
(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن.
(٤) أخرجه البيهقي.

المُنَافِقِينَ، وَأَشْبَاهِهِـمْ، فَعَـنْ أُسَامَةَ بـنِ زَيْدٍ، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّـمَ رَكِبَ حِمَـاراً عَلَيْهِ إِكَافٌ، تَحْتَـهُ قَطِيفَـةٌ فَدَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ أُسَامَـةَ وَرَاءَهُ يَعُـودُ سَعْدَ بن عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُاللَّهِ بنُ أُبَيٍّ بن سَلُولِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُاللَّهِ، وَفِي المَجْلِسِ أَخْـلاَطٌ مِنَ المُسْـلِمِينَ وَالمُشْـرِكِينَ عَبَدةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُاللَّهِ بـنُ رَوَاحَـةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا غَشِيَتْ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّـرَ عَبْدُاللَّهِ بنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، وَقَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَـا! فَسَلَّـمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَفَ وَنَزِلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُاللَّهِ بنُ أُبِيٍّ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنُ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقَّاً فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَـا، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ ابنُ رَوَاحَةَ: بَلى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُـونَ وَالمُشْـرِكُونَ وَاليَهُـودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُـوا، فَرَكِبَ النَّبِـيُّ صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، فَقَـالَ لَهُ: «أي

سَعْد، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟» ـ يُرِيدُ عَبَدَاللَّهِ بنَ أُبِيٍّ ـ قَالَ سَعْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصبُّوهُ، فَلَمَّا رُدَّ ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِيْ أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ الَّذِيْ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ.

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَاعِيَةً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، يَنْشُطُ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ لِلدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ، أَخْرَجَ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ عَنِ الوَاقِدِيِّ قَالَ:

كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُ، فِيمَا ذُكِرَ ـ آخِرَ أَهْلِ دَارِهِ إِسْلَامَاً، لَمْ يَزَلْ مُتَعَلِّقَاً بِصَنَمٍ لَهُ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهِ مِنْدِيلاً، وَكَانَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلَامِ فَيَأْبَى، فَيَجِيئُهُ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا رَآهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ خَالَفَهُ فَدَخَلَ بَيْتَهُ وَأَعْجَلَ امْرَأَتَهُ، وَإِنَّهَا لَتُمَشِّطُ رَأْسَهَا، فَقَالَ أَيْنَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَقَالَتْ: خَرَجَ أَخُوكَ آنِفَاً. فَدَخَلَ بَيْتَهُ الَّذِيْ كَانَ فِيْهِ الصَّنَمُ وَمَعَهُ القَدُّومُ، فَأَنْزَلَهُ وَجَعَلَ يُقَدِّدُهُ فِلْذَاً فِلْذَاً وَهُوَ يَرْتَجِزُ سِرّاً مِنْ أَسْمَاءِ الشَّيَاطِينِ كُلِّهَا: «أَلَا كُلُّ مَا يُدعَى مَعَ اللَّهِ بَاطِلُ» ثُمَّ خَرَجَ.

وَسَمِعَتِ المَرْأَةُ صَوْتَ القَدُّومِ وَهُوَ يَضْرِبُ ذَلِكَ الصَّنَمَ،

فَقَالَتْ: أَهَلَكْتَنِي يا ابْنَ رَوَاحَةَ! فَخَرَجَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ حَتَّى أَقْبَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ المَرْأَةَ قَاعِدَةً تَبْكِي شَفَقاً مِنْهُ. فَقَالَ: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ عَبْدُاللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ دَخَلَ عَلَيَّ فَصَنَعَ مَا تَرَى. فَغَضِبَ غَضَباً شَدِيداً، ثُمَّ فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ عِنْدَ هَذَا خَيْرٌ لَدَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ. فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَمَعَهُ ابنُ رَوَاحَةَ فَأَسْلَمَ.

لَقَدْ رَوَى عَبْدُاللَّهِ بَنُ رَوَاحَةَ الحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ بِلاَلِ بنِ رَبَاحٍ مُؤَذِّنِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَرَوَى عَنِ ابْنِ رَوَاحَةَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: عَبْدُاللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَأُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، وَأَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَالنُّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ هَذَا الصَّحَابِي الجَلِيلِ وَإِخْوَانِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ يُعَدُّونَ رِجَالَ الإِسْلاَمِ الأَوَائِلِ وَبُنَاةَ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ.